العنوان:	علم اجتماع المعرفة
المصدر:	الفكر العربي
الناشر:	معهد الإنماء العربي
المؤلف الرئيسي:	سعادة، رضا
المجلد/العدد:	مج 6, ع 37,38
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1985
الشهر:	مايو
الصفحات:	269 - 290
رقم MD:	429402
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	انواع المعرفة، علم اجتماع المعرفة، علم الاجتماع، الماركسية، الوعي الاجتماعي، الايديولوجية، اشكال المعرفة، الاطر الاجتماعية، الطبقات الاجتماعية، المجتمعات الشاملة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/429402

© 2026 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

سعادة، رضا. (1985). علم اجتماع المعرفة.الفكر العربي، مج 6, ع 37,38 .290 - 269 ، مسترجع من http://:search.mandumah.com/Record/429402

إسلوب MLA

سعادة، رضا. "علم اجتماع المعرفة."الفكر العربيمج 6, ع 37,38 (1985): 269 - 290. مسترجع من http://:search.mandumah.com/Record/429402

© 2026 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

علـــم اجتمـــاع المعـــرفة

د. رضا سعادة

أولاً ـ تقديم:

لسنا بصدد تعريف علم الاجتماع طبعاً، فهو في مقدمة العلوم الإنسانية التي تحاول إخضاع معطياتها للتجربة والقياس. والمعرفة ليست مقصودة بحد ذاتها، من حيث أصلها وطبيعتها وغاياتها؛ لكنما المقصود، هو الكشف عن علاقة حسيّة، تربط بين البنية أو الإطار الإجتماعي من جهة، وبين شكلٍ من أشكال المعرفة من جهة ثانية.

وقد يظن البعض، أن المعرفة وقف على الوعي الفردي، ويقتصر نتاجها على المواهب الفردية. لكنها بشتى مظاهرها وأشكالها تقيم مع الأطر الاجتماعية علاقات ثابتة. فالإكتشاف العلمي، أو الإبداع الفني، ليسا خلقاً فردياً من لا شيء، ولا يتعلقان فقط بشخصية المبدع، إنما بظروفه وبيئته والحقبة التاريخية التي ينتمي إليها. ولما كانت حاجات الوسط الاجتماعي تشكّل الدافع الذي يثير أو يخمد القدرة على الإنتاج المعرفي، العلمي أو الفني أو الفلسفي الديني، فإننا قد لا نجد سبباً مثلاً، لضعف الإختراع والمعرفة التقنية في العصور اليونانية والرومانية القديمة، غير كثرة وجود العبيد؛ الأدوات الحية واليد العاملة الرخيصة[1].

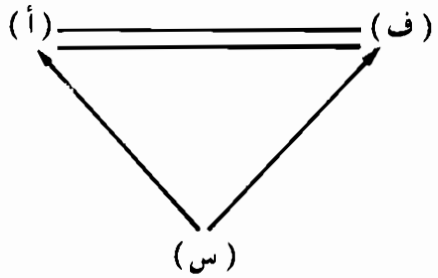
فعلم اجتماع المعرفة إذن، هو أولاً، دراسة العلاقات والترابطات، التي يمكن قيامها بين الأنواع المعرفية المختلفة من جهة، والأطر الاجتماعية، بشتى تجلياتها الاجتماعية، من جهة أخرى.

وإننا نعتبر المعرفة، بمعنى محتوى الفكر والوعي، كل نوعٍ من أنواع الانتاج العقلي. سواء كان المقصود أسطورة، أو عقيدة دينية، أو مذهباً سياسياً، أو منهجاً فلسفياً، أو نظرية علمية أو غير ذلك.

والانسان لا يتلقّى المعرفة، أو ينتجها، وبالتالي لا يفهم العالم الخارجي، إلاّ من حيث كونه عضواً في طبقة إجتماعية، أو طائفة، أو حزب، أو تجمع ديني أو غيره.

إن أنواع السلوك، والتصرفات، والأفعال الإنسانية، لا تنفصل البتة عن أنواع المعتقدات والإيديولوجيات.

لكن التبرير الإيديولوجي للفعل، يظل مهجولاً، ما لم نربط بينها وبين البنية الإجتماعية، أو الأساس الاجتماعي للشخصية. لنفرض مثلاً، أن «أ» هو الشكل المعرفي أو النمط الفكري الإيديولوجي الذي يعتقده شخص ما. ولنفرض أن «ف» هو الفعل أو العمل الذي يقوم به ذلك الشخص. فالشخص المشار إليه يفعل «ف» ويعتقد «أ». ويقول عنه البعض: إنه يفعل «ف» لأنه يعتقد «أ». لكن ذلك خطأ لا يقل عن خطأ من يقول: إنه يعتقد «أ» لأنه يفعل «ف». والصحيح أنه يفعل «ف» ويعتقد «أ»، لأن الأساس الانفعالي «س» لشخصيته الاجتماعية، هو الذي يولد الفكرة التي يعتقدها «أ» بمقدار ما يولد الفعل نفسه «ف» الذي يقوم به:



أما الذين يعتقدون بالعلاقة السببيّة بين «ف» و«أ»، فهم قلّة آخذة بالتناقص، وهذه العلاقة يمكن أن توجد فقط في بعض الحالات الخاصة، كالأفعال المنطقية. لكنها ليس لأيٍ من الفعل أو الفكرة، الأولوية في كونه سبباً، والعمل العلمي كفيل بإيضاح هذه العلاقة جيداً. على أنه لا صلة لنا من الناحية التجريبية، إلاّ بأناسٍ وجماعاتٍ معروفة بمواقعها الاجتماعية المحسوسة.

والخلاصة، أن كل بحثٍ في علم اجتماع المعرفة، يجب أن تقوم تجربته على إظهار العلاقة الحسية المتبادلة، بين العامل الاجتماعي من جهة، والفكر أو المعرفة والدراية من جهة ثانية. ويكون ذلك بإعادة تكوين علاقتهما على صعيد الواقع.

كما لا بدّ لعلم اجتماع المعرفة أن يدرس دراسةً مفصّلة:

1 ـ علاقة المعرفة المتغيّرة بالأعمال الحضارية، ودورها في مختلف أنماط المجتمعات.

2 ـ طرائق التعبير، والتعميم، والتوصيل المعرفية. وارتباطات هذه الطرائق بالفعلة الجماعيين، من مرسلين ومستقبلين.

3 ـ حالات التباين، وعدم التطابق بين المعرفة والأطر الاجتماعية، إذا وجدت؛ أو حالات التلاحم الذي يشمل شتى أنواع المعرفة المتطابقة مع الأنماط الاجتماعية المعروفة. فإنه كما يوجد بين المعرفة والإطار الاجتماعي علاقات تكامل، كذلك يمكن أن يوجد بينهما تباينات. وإذا كان لعلم اجتماع المعرفة من أزمة، فهي في تبعيته

للمفاهيم الفلسفية. والأفضل أن لا تكون العلاقة بينه وبين الفلسفة قائمة على التبعية، بل على وجود المجالات المشتركة الكثيرة. فالقاعدة المشتركة بين الفلسفة وعلم الاجتماع، تتمثل بعلم اجتماع المعرفة، كما بعلم اجتماع الحياة الأخلاقية وعلم اجتماع الفن. وفي هذه الميادين المشتركة، ينهج كل من الفيلسوف وعالم الاجتماع نهجاً مختلفاً. ففي حين يعمل عالم الاجتماع على استنتاج الأثر فقط، يتوجب على الفيلسوف أن يطرح مسألة القيم، وصلاحية الأفكار والأحكام التي يصادفها في الواقع الاجتماعي.

أما المعارف الأشد رسوخاً في الواقع الاجتماعي، والتي يفترض بعلم اجتماع المعرفة أن يصب جهوده عليها، فهي معرفة العالم الخارجي، ومعرفة الآخر، والمعرفتان السياسية والتقنية، ومعرفة الحس السليم. وقد ميّز الفلاسفة وعلماء الاجتماع بين ثلاثة أنواعٍ من المعارف هي: الفلسفية، العلمية، والتقنية.

ثانياً - نظرة تاريخية:

إذا كان كونت (Auguste Comte) هو أول من وضع عبارة «علم الاجتماع» فذلك لا يعني أن هذا العلم قد نبت معه في سنة 1839 م. لأن طرح المسألة الاجتماعية، والتفكير في الوقائع، يرجع في القدم إلى أفلاطون[2]. ولا يمكننا أن ننسى مونتسكيو (Montesquieu) وابن خلدون وغيرهم كثيرين، علماً بأن دراسة الوقائع الاجتماعية لم تصبح علماً موضوعياً إلا مع كونت، وبعده دوركهايم (Durkheim) في القرن التاسع عشر.

والشيء نفسه يقال عن هذا الفرع المتخصص، المسمى بعلم اجتماع المعرفة. فإن لهذا العلم جذوراً عميقة في التاريخ، وإن كانت التسمية تعود لهذا القرن فقط. والمعني بهذه التسمية المعاصرة، العلاقة بين المعرفة والعلم، أو الدراية، من جهة، والواقع الاجتماعي من جهة أخرى.

وقد ظهرت المنهجية الفكرية، التي تولّد عنها علم اجتماع المعرفة، مع السفسطائيين الذين أمتدّ الشكّ عندهم إلى المعرفة الانسانية. فلقد أكّد بروتاغوراس[3] أن لكل شيء من الأشياء وجهتي نظر متعارضتين، وأن الحقيقة هي ما يبدو لكل إنسانٍ أنه الصحيح. وقال كريسياس إن الاعتقاد بالدين والآلهة قد استنبطه مشرّع حاذق، كان يبغي تأسيس وتركيز احترام القيم الضرورية للحياة الإنسانية. أما أفلاطون، فهو أول من قال إن المعرفة الحسية ليست معرفة دائمة، وهي لا تحمل اليقين.

أما في العصور المتأخرة، والحديثة، فكان كوندياك (Condillac)، التجريبي، الذي لم يرَ في المعرفة إلاّ تحوّلات الإدراك الحسي؛ هو أول من أطلق نظرية الإيديولوجيين. ولفظة إيديولوجيا هي من صنع أصحاب هذه المدرسة الفلسفية، التجريبيّة والحسيّة، الذين صاغوا مصالح البورجوازية إبان الثورة الفرنسية. وفي رأي هذه المجموعة من الفلاسفة، ومنهم (Volney و Cabanis) و (Destutt De Tracy) كابانيس وڤولني وديستوت دو تراسي، أنه يوجد علم للمعاني، أو المفاهيم المجردة، يدرس نشوءها، ويستطيع أن يعيد تركيبها كاملة بدءًا من الإحساسات. هذا العلم الخاص بالمعاني يسمى إيديولوجيا Idéologie، والفلاسفة الذين نادوا بهذا المذهب يدعون

أنفسهم بالإيديولوجيين[4]. وقد اعتبر هؤلاء أن العامل الاجتماعي يشكل عائقاً في وجه المعرفة، والعلاقة بين المعرفة الحسية التجريبية والإطار الاجتماعي هي علاقة تباين.

وحتى لا نضيع نحن في متاهات التاريخ، بحثاً عن المعطيات الأولى لعلم اجتماع المعرفة، نرى من الأمثل، أن نعود إلى عيّناتٍ، أو نماذج من الفلاسفة وعلماء الاجتماع أنفسهم، لنلاحظ كيف تشكّل هذا العلم تدريجياً بحسب المذاهب الفلسفية والاجتماعية المختلفة:

ـ أول من نجد عنده ترابطاً متبادلاً بين العوامل الفكرية والعوامل الواقعية، هو دولباتش (D'Holbach) 1723-1789 م. وهذا الربط يلعب دوراً هاماً في علم اجتماع المعرفة. وبحسب هالڤاتيوس (Helvétius) 1715-1771 م، ترتكز إمكانية الاتصال والربط في الحياة الاجتماعية على تماثل الإدراكات الحسيّة. فالأخطاء، والمعرفة المغلوطة، سببها العوامل الاجتماعية التي تمنع الحواس من التقاط الواقع بأمان. وكان لهذين الفيلسوفين الفرنسيين، تأثير كبير في مجموعة الفلاسفة المتسمون بالإيديولوجيين، وقد ورد ذكرهم.

ـ بعد هؤلاء، أكّد كوندورسيه (Condorcet) 1743-1794 م، وهو فيلسوف فرنسي أيضاً، على وجود توافقٍ تام بين الواقع الاجتماعي والنسق المعرفي. وقال إن تقدم الفكر البشري، والمعرفة، والعلوم، والمجتمع البشري، يشكّل حركة واحدة متكاملة. وقد أعطى الأولوية لتقدم المعرفة على تقدّم المجتمع.

ـ أما سان سيمون (Saint-Simon فيلسوف فرنسي 1760-1825 م) فكان معارضاً شهيراً لمثالية كوندورسيه، وقد رفض أولوية تقدم المعرفة على المجتمع. لكنه ساعد على تكوين علم اجتماع المعرفة، حيث أكّد في كتابه « الصناعة » (L'industrie) على وجود توافق ثابت، في كل العصور ولدى جميع الشعوب، بين الأفكار والمؤسسات الاجتماعية. فالمعرفة اللاّهوتية تقابلها الأنظمة العسكرية، والمعرفة التقنية تقابلها الأنظمة الصناعية.

ـ وكان مؤسس علم الاجتماع، اوغوست كونت (Auguste Comte) 1798-1857 م، أول من وقف وقفةً مميّزة عند علم اجتماع المعرفة. فقد اختزل علم الاجتماع كله بعلم اجتماع المعرفة، عندما أعطى للمعرفة سلطان تكوين الأطر الاجتماعية. تأثّر كونت كثيراً بسان سيمون، وبيّن في قانون الحالات الثلاث التتابع اللاّهوتي، الميتافيزيقي ثم الوضعي العلمي للمعرفة. انطلق من فكرة وجود رابطةٍ دقيقةٍ بين حالات التطور الاجتماعي وأشكال المعرفة، فرأى أن تطوّر الانسانية يتم وفقاً لقانون الحالات الثلاث، وانتهى بإفراد مكانةٍ كبيرة للعقل، نسبة للخيال. كان الهدف من علم الاجتماع عند كونت تبرير « الوضعية » (Positivisme)، وقد أمكن لعلم اجتماع المعرفة أن يحل محل الأصولية (L'Epéstémologie). وبعد أن تتحقق الوضعية، تنفصل المعرفة عن الإطارات الاجتماعية، وتوجهها. وتنتمي المعرفة الدينية بنظر كونت إلى بنية إجتماعية قديمة. أما المعرفة الفلسفية فتنتمي إلى بنيةٍ إقطاعية، والمعرفة الوضعية إلى بنيةٍ صناعية.

ـ بعد كونت، تاريخياً، يأتي دور كارل ماركس (1818-1883 م)، ويعتبر ماركس وانجلز من مؤسسي علم اجتماع المعرفة. ونظراً لأهمية الربط، الذي قام به ماركس بين الإيديولوجيا والممارسة الواقعية، فقد آثرنا بحث

علم اجتماع المعرفة الماركسي تحت عنوان خاص، يرد تالياً.

ـ وكان التعبير عن مسألة التحديد الاجتماعي للفكر والمعرفة، أكثر جذرية عند دوركهايم (Durkheim 1858-1917 م. فقد أقلع دوركهايم عن اعتبار فلسفة كونت الوضعية مرتكزاً لعلم اجتماع المعرفة، ودرس منشأ الفكر بالنسبة لبنية ووظيفة الجماعة، فرأى أن الوعي الجماعي يشكل مجموعة المعتقدات والمشاعر المشتركة بين أفراد المجتمع. وبنظره أن مفاهيم الزمان والمكان، والعدد، والمنطق، كلها من نتاج الحياة الاجتماعية، وهي دائماً على صلةٍ قوية بالبنية الاجتماعية التي تقابلها. فمفهوم «الكل»، هو الشكل المجرد لمفهوم المجتمع. والتمايز بين الملموس والمعقول، والمادة والصورة، ومعطيات الحس ومعطيات العقل، يقابله التمايز بين الفرد والجماعة.

ولم يميز دوركهايم بين المعارف المختلفة، فلم يرَ سوى المعرفة العلمية، والفلسفية، وربما الإدراكية. وهو يرى أن الرابط بين المعارف وأنماط المجتمعات يخضع للتقلّب والتبدّل، نظراً لتدخّل العنصر البشري في تغيير العلاقات؛ وأن المعرفة التي لا تلبي متطلبات الجماعة تصبح حدثا سلبياً؛ من هنا العلاقة المتبادلة بين البنية الاجتماعية والوعي الجماعي.

ـ ومن الذين تناولوا علم اجتماع المعرفة أيضاً، لوسيان ليڤي ـ برول (Lucien Lévy Bruhl) 1857-1939 م، عالم الاجتماع الفرنسي المتخصص في دراسته للمجتمعات والعقلية البدائية. بيّن برول في أعماله أن المعرفة الإدراكية للعالم الخارجي، ومعرفة الأنا والآخر والنحن عند البدائيين، تختلف جوهرياً عن معرفتنا. كما أن شخصية البدائي أقوى من شخصيتنا، بسبب الانتماءات الصوفية، ولكنها أقل منها تميزاً وتدقيقاً. وقد مهّدت أعمال ليڤي ـ برول السبيل للاستنتاج بأن هناك عقليات وتجارب، بقدر ما يوجد من أنماط للبنى الاجتماعية، الكلية والجزئية.

ـ ولم يظهر علم اجتماع المعرفة كمنهج مستقل، إلاّ بفضل مانهايم (Mannheim) وماكس شِلِر (Max Scheler). فقد حقق ماكس شِلِر (1874-1928 م) كشفاً هاماً، عندما أظهر كثرة الأنواع المعرفية التي تتغيّر تبعاً للواقع الاجتماعي والأطر الاجتماعية. ولاحظ أن الأديان أقل وأبطأ تغيّراً من النظريات الفلسفية، وهذه أقل وأبطأ من المعرفة العلمية الوضعية، التي تكاد تتغيّر كل يوم. والصفة الاجتماعية لأي شكلٍ من أشكال المعرفة هي شيء أكيد. وإننا نجد عند شِلِر ستة أنواع من المعارف المتراتبة تراتباً قيمياً: المعرفة الإلٰهية، المعرفة الفلسفية، المعرفة الغيرية (الفردية والاجتماعية)، معرفة العالم الخارجي (الحي والجامد)، المعرفة التقنية والمعرفة العلمية.

وقد حصر مانهايم الأنواع المعرفية بالمعرفتين السياسية والفلسفية، وتتسم نظريته بهيمنة المسألة الإيديولوجية، حيث يعتبر أن فئة المثقفين، بوعيها الجماعي، خليقة بأخذ دور المفاعل الاجتماعي في النتاج المعرفي.

ـ ويمكننا اعتبار النظريات الاجتماعية عند عالم الإجتماع الإيطالي باريتو (Pareto) 1848-1923، نظريات في علم اجتماع المعرفة. وتنحصر أفكار باريتو في قوله إن نظريات الناس ألبسة لمشاعرهم، وإنه حيال التطور الاجتماعي يمكننا بلوغ نفس الهدف بنظريات مختلفة، وأن اللغة شديدة التأثير في الأفكار وإن كانت الأفكار هي

الأساسية، وأنه يمكن لنظرية أن تحل محل أخرى، كما تحل لغة محل لغة.

ـ وقد ساعد على تكوين علم اجتماع المعرفة، الفيلسوف الألماني نيتشيه 1844-1900 م (Nietzsche)، عندما حاول التمييز بين مستوى المعرفة وفائدتها الاجتماعية. وقد حلل نيتشيه الخير والشر بناء على العلائق الوجودية المتبادلة بين الأسياد والعبيد. فالأسياد والأقوياء، أصحاب المركز الأول، يشعرون أن أفعالهم هي الجيدة نسبة لأفعال العامة الفظة.

ـ وربما كان أخيراً لعالم النفس النمساوي، فرويد 1856-1939 (Freud)، وهو مؤسس علم النفس التحليلي، دور في خدمة علم اجتماع المعرفة. فقد كان فرويد أكثر منهجية من نيتشيه في بحثه عن جذور المعرفة وأسبابها.

يعتبر فرويد أن المشاكل والعقد النفسية عند العصابيين، سببها الصراع القائم بين ميولهم ودوافعهم الشخصية من جهة، والمتطلبات الاجتماعية والموانع الأخلاقية من جهة ثانية. ولما كان الضغط الاجتماعي، هو الذي يقوى دائماً على الميول، فيكبتها، فإن تلك الميول المكبوتة، المختفية، تعود للظهور من جديد، بأشكال جديدة متوافقة مع القيم الأخلاقية والاجتماعية، وهذا ما يسمى بالإعلاء؛ كأن يرتدّ ميل جنسي وضيع عن غايته مثلاً، ويتجه إلى غاية أخرى سامية متعالية، كالاتجاه الفني أو العلمي. وبذلك يحوّل الإعلاء، كما يقول فرويد، الطاقة الدوافعية الفردية، إلى نشاط عقلي إجتماعي [5].

ـ وما دمنا قد عدنا في بحثنا التاريخي لعلم اجتماع المعرفة، إلى العاملين في ميدان علم النفس (فرويد)، فإننا نعتبر هالبواكس ـ (Halbwacks) عالم الاجتماع الفرنسي 1877-1945 م الذي اهتم بدراسة العلاقة بين علم النفس وعلم الاجتماع ـ من الذين أغنوا مسألة تحديد العلاقة بين المعرفة والإطار الاجتماعي. ففي دراسته للأطر الاجتماعية للذاكرة، ركّز هالبواكس الانتباه على مصدرها الاجتماعي. فالانسان يستدعي ذكرياته مستعيناً، بالإضافة لمحتوى الذاكرة، بالأطر الاجتماعية، كالمعالم التاريخية، والأحداث الكبرى، والأعياد العامة. لذلك فإن من يعيش في عزلةٍ تامةٍ لا يمتلك أية ذاكرة. وتبقى التأثيرات الاجتماعية التي نمتثل لها غالباً غير منظورة. وفي حين أن الذاكرة الفردية تكون محدودة في الزمان والمكان، فإن الذاكرة الاجتماعية أوسع امتداداً، بحيث ننجح في إيقاظ ذكرياتنا بمقدار ما نستجمع تجاربنا في الزمان والمكان، وندخلها في الإطار الاجتماعي الذي جرت فيه.

ثالثاً ـ علم اجتماع المعرفة الماركسي:

علم اجتماع المعرفة عند ماركس هو نفسه علم اجتماع الإيديولوجيا. فقد ربط ماركس المسائل المعرفية المطروحة، بمسائل الوعي الطبقي، والإيديولوجيات الطبقية المتنوعة.

ولفظة إيديولوجيا، تعني مجموعة المعتقدات الخاصة بمجتمعٍ أو طبقةٍ اجتماعية. والإيديولوجيا تفصح عن نفسها عامة بمذهب سياسي أو اجتماعي، يوحي بأفعال سلطةٍ أو حزبٍ أو طبقةٍ اجتماعية. فالاشتراكية إيديولوجيا، كما أن الليبرالية الاقتصادية إيديولوجيا.

وقد سمّى ماركس « إيديولوجيا »، الظاهرة الفكرية المرتبطة بالمصلحة الاجتماعية. فالبنية الفوقية الإيديولوجية (Superstructure) لبنيةٍ اجتماعيةٍ ما، لا تفهم برأي ماركس، إلاّ بتحليل البنية التحتية (Infrastructure)، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. فالبنية التحتيّة هي التي تحدد حقل الفكرة المقبولة اجتماعياً، وهذا المفهوم تبناه شِلِر ومانهايم فيما بعد، وبذلك يعتبر ماركس بحقٍ من مؤسسي علم اجتماع المعرفة.

وبينما اقتصرت الإيديولوجيا لدى الفلاسفة الفرنسيين، على تبيان التصورات الفردية بواسطة علم النفس السببي، غدا موضوع هذه الدراسة عند ماركس وانجلز، مجمل التصورات التي تتميّز بها فترة من الفترات أو مجتمع من المجتمعات. فحتى نتفهم الإيديولوجيات، علينا أن نوجه اهتمامنا إلى ما يجري عند عليّة القوم في الطبقات الاجتماعية وتفرعاتها، والمؤسسات، والتطاحن حول السلطة والمصالح المختلفة. إذ حينما سعى لاستلام الحكم كل من الملك والأشراف والبورجوازيين، ظهرت إلى الوجود نظرية سياسية جديدة هي فصل السلطات.

وتتسم الإيديولوجيات كما عرضها ماركس وانجلز [6]، بما يلي:

1 ـ إنها تنطلق من الواقع.

2 ـ إنها تعكس هذا الواقع مع بعض التشويه، من خلال تصورات مسبقةٍ تخيرتها الجماعات المتسلطة.

3 ـ إن مقادير الواقع، والوهم، والتي تدخل في تركيب الإيديولوجيات، تتحول وتتغيّر حسب العهود والظروف والعلاقات الطبقية.

4 ـ إن للإيديولوجيات طابعاً مزدوجاً؛ فهي نظرية وعامة ومجردة من جهة، ومن جهة أخرى هي تمثل مصالح معينة، محدّدة وخاصة، محاولة بذلك الإجابة عن كل ما يطرح من الأسئلة والمشاكل.

5 ـ بمقدار ما تنبعث الإيديولوجيات من الواقع، أي البراكسيس (الممارسة العملية)، وتستند إليه، فإنها لا تشكّل خطأً كلياً. من هنا وجوب التمييز بين الإيديولوجيا وبين الوهم والكذب، أو الأسطورة. مع أن الإيديولوجيات تتضمّن أوهاماً طبقية، وتستخدم كأكاذيب في المنازعات السياسية، فهي ليست مقطوعة الصلة بالأساطير.

6 ـ إذا كانت المفاهيم تجريداتٍ علمية، فالإيديولوجيات تجريدات غير علمية. لكنها لا تقتصر على البقاء في ضباب التجريد، بل ترتدّ على البراكسيس فتتدخل فيه بالقسر أو الإقناع. وبما أن الأفعال التي يقوم بها الناس لا تنفذ إلى الوعي إلاّ من خلال اللغة، فالفكر لا يكون مستقلاً عن اللغة أبداً.

ولكي ندرك المفهوم الماركسي للإيديولوجيا بشكل أفضل، نوازن بين هذا المفهوم وبين التصورات الجماعية التي تحدثت عنها مدرسة دوركهايم. فالإيديولوجيا من بعض وجوهها تصوّر جماعي، لكن دوركهايم ينظر إلى المجتمع نظرته إلى كائنٍ مجرّد، في حين أن المجتمع برأي ماركس، يكون وليد تفاعل عملي بين الأفراد والجماعات. وتصبح الأيديولوجيا بذلك ثمرة إبداعٍ فردي داخل إطار اجتماعي [7].

فالإيديولوجيا لا تمارس ضغطاً على الشعور الفردي، لأنها ليست قائمة خارج الحياة الواقعية للأفراد. وليس

لها ما للعامل الاجتماعي، من قسرٍ يمارسه على الفرد، كما يرى دوركهايم. ولا يمكن لأية إيديولوجيا، كما يرى ماركس، أن تنتظم في مذهب نهائي، لأن أساسها، أي البراكسيس، منفتح دائماً على الممكن وعلى المستقبل.

كيف نشأت الإيديولوجيات؟

على رأي ماركس وانجلز:

1 ـ قامت أول الأمر تصورات وهمية سبقت الظروف والأحوال التي تنشأ فيها المفاهيم. وقبل وجود الزمن التاريخي، قامت تصورات تتعلق بالأحداث وتعاقبها، وتتحدث عن مآثر أحد المجتمعات، أو الفئات، بأمرة قائدٍ أو رئيس. وقدغلب على هذه التصورات الطابع الخرافي، الأسطوري، والملحمي البطولي، ثم تناولها الكهنة والشعراء بالصقل والتهذيب. كذلك التصورات التي تناولت الطبيعة، وأفعال الانسان القادرة على تغيير مجرى الأحداث الطبيعية، فنسبت لطائفة من الناس القدرة على المعجزات.

2 ـ يضاف لتلك التصورات، النظريات التي تحكي قصة تكوين العالم، وتتحدث عن الآلهة.

3 ـ أما أساطير الأقدمين، التي هي أدنى إلى الشعر منها إلى الإبداع الصوري، فيتعذر أن يطلق عليها اسم الإيديولوجيا. ويمكن للأساطير والميتولوجيا أن تستحيل إلى ايديولوجيات عندما تنقلب إلى عناصر تدخل في تركيب الديانات. وكان قيام الديانات الكبرى يساير توطيد دعائم الدولة، ونشوء الأمم ونزاع الطبقات. وقد اصطنعت الأوهام السابقة للمعرفة، لكي تسدل ستاراً على البراكسيس.

ومن السمات الاجتماعية التي تتسم بها الإيديولوجيات، أنها من بعض جوانبها تضطلع بواقع الضعف الانساني، الذي يتجلى في الموت والألم والعجز، وهي تحرص على تأويلات معينةٍ لهذا الوجه الانساني البائس.

أما المصاعب التي تواجه علم الاجتماع المعرفي الماركسي، فهي:

1 ـ بما أن هذا العلم مرتبط بمسائل الوعي الطبقي، فإن المشكل المعرفي سيزول في حال قيام المجتمع اللاطبقي.

2 ـ غابت عن هذا العلم، دراسة العلاقة بين الأطر الاجتماعية والمعرفة، في أنماط المجتمعات الأخرى، غير الصناعية.

3 ـ الربط الإكراهي بين علم اجتماع المعرفة والمادية الجدلية. وإيلاء ثقة ساذجةٍ لإزالة الارتهان المعرفي في المجتمع اللاطبقي.

ولقد تسربت أفكار ماركس، وظهر تأثيره بشكل واسع، وإن لم يكن تأثيراً عميقاً، على عدد من علماء الاجتماع، وبشكل خاص في ميدان علم اجتماع المعرفة. فلقد شدّد جورج لوكاكس، ـ (Georg Lukács) فيلسوف هنغاري ولد في بودابست سنة 1885 ـ على الجدلية الماركسية، التي تشكل عنده علم التاريخ في صيرورته التقدمية[8]. واعتبر أن الوعي الطبقي عند البروليتاريا هو المحرك الحقيقي لهذا التقدم. وهذا الوعي هو انعكاس فكري لوضع نموذجي يحدده تقدم الإنتاج؛ أي بناء إيديولوجي، يجمع كل المشاعر والأفكار التي تحرك الأفراد في أوضاعهم الاجتماعية.

رابعاً - أنواع المعارف وأشكالها:

ما هي أنواع المعرفة التي يبغي علم اجتماع المعرفة ربطها بالأطر والبنى الاجتماعية؟

يكفي أن نقف عند تصنيفين لهذه الأنواع؛

أما التصنيف الأول - الذي اعتبره جان دوڤينيو نموذجياً ومثاليا - لشتى أنواع المعرفة والعلم، التي هي على علاقةٍ مع بعض البنى الاجتماعية، فهو:

1 - المعرفة السحرية (Magique)، وهي تستعمل أدواتٍ مادية، تصل بها إلى معرفة القوى غير الإنسانية، والوسائل التي بها تستحضر هذه القوى.

2 - المعرفة الصوفية، التي تعتمد على الحدس، والرؤيا الداخلية المباشرة، كطريقةٍ تسمح باكتساب معارف لا نستطيع التوصل إليها بالمنطق والتجربة.

3 - المعرفة المدرسية (الفلسفية الأرسطية في القرون الوسطى - Scolastique)، التي تجمع بمنطق دقيق، جميع النصوص المقدسة، في مجموعةٍ منهجيةٍ ذات سلطةٍ لا يمكن للتجربة أو للملاحظة دفعها. وقد يقصد بها المعرفة الكلامية، (علم الكلام الديني)، أو اللاهوتية.

4 - المعرفة الدوغماتية (العقدية، أو الجازمة القطعية Dogmatique)، التي تعتبر الفرضيات ذات المصادر السلطوية، فرضياتٍ أكيدة وصحيحةٍ قطعاً.

5 - المعرفة التأملية، التي تستعمل الوقائع المجموعة بواسطة الملاحظة والتجربة، وتبحث عن طريق الفكر وحده، لمعرفة الأشياء والترابطات التي تتجاوز التجربة.

6 - المعرفة المنطقية التجريبية، أو العلوم المتخصّصة، التي تبحث عن طريق المنطق، وأعمال التصنيف والتنظيم، وبممارسة العزل والتجريد؛ عن وجود التشابه بين الوقائع القابلة للاختبار، والحاصلة عن طريق التجربة والملاحظة [9].

هذا التصنيف، هو أقرب لأشكال المعرفة التي ذكرها جورج غورفيتش (George Gurvich)، منها لأنواع المعرفة التي تحدث عنها المؤلف نفسه في كتابه: الأطر الاجتماعية للمعرفة [10].

أما أشكال المعرفة فيمكن أن تكون:

1 - صوفية وعقلية.

2 - تجريبية وتصوّرية.

3 - وضعية ونظرية (تأملية).

4 - رمزية وتطابقية (تناسبية).

5 - جماعية وفردية.

لكن هذه الأشكال المعرفية الخمسة، لا تصلح لأن تُقابل هي مباشرة مع الأطر الاجتماعية؛ لأن محاولة مطابقتها مباشرة مع هذه الأطر ستؤدي غالباً إلى نتائج مغلوطة.

والطريقة الصحيحة التي تصلح قاعدة عامة للربط بين المعرفة بأنواعها، والأطر الاجتماعية (من أطرٍ ميكرو ـ اجتماعية، وتجمعات، وطبقات اجتماعية، ومجتمعاتٍ شمولية)، هي أن هذه الأشكال المعرفية تستعمل لتمييز التقلبات والتغيرات التي تلحق بالأنواع والأنماط المعرفية. فهذه الأشكال هي عبارة عن معالم ضرورية لدراسة التطابق الوظيفي، بين الوقائع الاجتماعية وأنواع المعرفة.

فما هي أهم أنواع المعرفة، السائدة في مختلف البنى الاجتماعية؟ نلاحظ حسب التصنيف الذي طرحه جورج غورفيتش:

1 ـ المعرفة الإدراكية للعالم الخارجي:

والمقصود بها الإدراكات والأحكام الجماعية، المتعلقة بصحة الأزمنة والميادين (الزمان والمكان). وسيادة هذه المعرفة تعني الانفتاح على العالم الخارجي، بينما الإنغلاق دليل تخلفها، كما هي الحال في المجتمع الإقطاعي، حيث المدن والقرى منغلقة على نفسها، في عمرانها ومع محيطها، وبالتالي ينعدم الأفق في الفن وتأتي المعرفة الإدراكية فيها في المرتبة الأخيرة. والجدير بالذكر، أن المعايير التي يقاس بها الزمان والمكان، تبقى نسبية، وتتغاير بين مجتمع وآخر، وبين طبقة وأخرى وجماعة وجماعة.

2 ـ معرفة الأغيار:

يقصد بالأغيار، كل من هم سوى الذات، كالآخر، والنحن، والجماعات والطبقات والمجتمعات. وربما كانت معرفة «الآخر» هي الأهم. فالدور الذي يلعبه «الآخر»، بجسده، وتعابير وجهه، وسلوكه، وحركاته، وكلامه، وموقفه الاجتماعي، يتغيّر بحسب الإطار الاجتماعي الذي يوجد فيه.

كما أن «الآخر» كموضوع للإدراك أو المعرفة، يمكن أن يظهر كأبٍ أو أخٍ أو صديق أو عدو. كنصير أو خصم، كرفيق أو عدو، ذي مرتبةٍ أدنى أو أعلى، كمساعدٍ أو مناوىء، كمركز جذبٍ أو دفعٍ أو لا مبـالاة. وقد لعبت معرفة «الآخر» دوراً مهماً في المجتمعات الأبوية والإقطاعية، خاصة في ملكيات القرون الوسطى.

3 ـ معرفة الحس السليم:

تقع هذه المعرفة في صلب الحياة اليومية، وتنزع إلى تأييد المعرفة السلفية، ومعرفةِ الناس المسنين والمجربين. فكلما كان المجتمع أمياً كان دور هذه المعرفة أعظم، وكلما كان أكثر ثقافة وعلماً كان دور المعرفة الحسية السليمة أقل. وتستمر سيادة هذه المعرفة في الجماعات الضيقة، كالأسر، والقرى المعزولة، وبعض الهيئات المهنية كالجيش والنقابات.

4 ـ المعرفة التقنيّة:

لا تنحصر هذه المعرفة بالتكنولوجيا، ولا بمعرفة استخدام المادة، بل هي أعم من التكنولوجيا. إنها معرفة كل الاستعمالات الفعّالة، الصنعية والعاديّة، ومصدرها الرغبة في السيطرة على عالم الطبيعة والانسان والمجتمع. وقد يكون ذلك في سبيل الانتاج أو التدمير، أو الصون والتنظيم والتخطيط.

أما مستوى هذه المعرفة، فهو بدائي في الحواضر والامبراطوريات القديمة. وقد بلغت في المجتمعات الاقطاعية مستوى رفيعاً لا يتوافق معه التطور العلمي. وتطورت التقنيات في بداية الرأسمالية في المانيفاكتورات (Manifactures) ـ المشاغل الفنية اليدوية ـ والفبارك. وقد تمّ الوصل بين المعرفة العلمية والمعرفة التقنية في القرن العشرين، وذلك في قطاع التكنولوجيا.

5 ـ المعرفة السياسية:

وهي ليست بالعلم السياسي، ولا بعلم الاجتماع السياسي، بل المقصود بها معرفة فطرية، أو مكتسبة، تكون خارج العلوم، وتنبثق مباشرة من الصراعات الاجتماعية. في هذه المعرفة المنحازة، يكون رجال السياسة (المناضلون والمرشدون) أقوى من العلماء، لا بل يقوى فيها المتخلفون علمياً. وهي لا تفترض مسبقاً وجود الدولة أو فعلها السياسي. وتتجلى في شتى أنماط المجتمعات البدائية، من خلال تصارع القبائل والعشائر. وفي المجتمعات البدائية التاريخية، تفصح هذه المعرفة عن نفسها في الصراعات بين الإبن البكر والأبناء الصغار، بالتحالف مع أمهاتهم وأنصارهم. والمعرفة السياسية، بصفتها معرفة واقعية ودقيقة للقوى المتنازعة، وللبيئة التي يجري فيها النزاع، يمكن أن تقترن بعدة أنواع من المعارف، كمعرفة الآخر والنحن، ومعرفة الحس السليم، والمعرفة التقنية وغيرها من المعارف المباشرة للمعالم الاقتصادية والنفسانية الخاصة بالواقع الاجتماعي.

6 ـ المعرفة العلمية:

هذا النوع المعرفي ينزع إلى التجرّد والتعالي عن العواطف. يقول سبينوزا: العلم، حيث «لا ضحك ولا بكاء». ولم تكن المعرفة العلمية في الحواضر القديمة منفصلة عن الفلسفة، بل كانت الفلسفة مشتملة على العلوم كافة، وكان الفيلسوف عالماً بعلم أو بعدة علوم. وقد أخذت العلوم بالتحرر، وبدأت الفلسفة تفسح المجال للمعرفة العلمية منذ حلول المجتمعات الصناعية.

أما تأثير العوامل الاجتماعية في العلوم الطبيعية، والعلوم الدقيقة، فيظهر من أربع زوايا:

أ ـ ترتكز هذه العلوم على التجربة والاختبار، وكلاهما خاضعان لتأثير الانسان.

ب ـ إن كل فرضية علمية، مبرّرة أو غير مبرّرة، تحمل طابع المجتمع الذي تظهر فيه. فالميكروفيزياء، والطاقة الذرّية الناتجة عنها، تنتجها البنى الاجتماعية الشمولية في المجتمعات المعاصرة.

ج ـ تحصل بين المنظمات الخاصة بالبحوث العلمية، منافسات ذات طابع اجتماعي.

د ـ تبرز الوسائل السوسيولوجية في تعميم المعرفة العلمية ونشرها. وتبدو فائدة علم اجتماع المعرفة أكثر جلاءً في مجال العلوم الانسانية.

7 ـ المعرفة الفلسفية:

وهي نوع متعالٍ من المعرفة، تسود فيه المعرفة الفردية على الجماعية من حيث المبدأ. من هنا البرج العاجي للفلاسفة. والفلسفة تتبلور في مذاهب، وتشكّل مدارس فلسفية على علاقة بالمعرفة العلمية مع بعض التعقيد. ولقد تحدّد دور الفلسفة مؤخراً نسبة إلى العلوم، فلم يعد الفيلسوف يمتلك المعارف كلها، وانحصر التفكير الفلسفي في ميدان الميتافيزيقيا من ناحية، وفي الأصولية من ناحية أخرى. والأصولية، أو المنطق العلمي، تتمثل في مواكبة التفكير الفلسفي للعلوم، واتساعه وتقدمه معها، فيعنى بأصولها وقيمتها والنتائج المترتبة عليها. إن كل نوع من هذه الأنواع المعرفية، هو عبارة عن تناسقٍ جدلي بين مجموعة من التجارب والأحكام. وهو تناسق يتميّز بالتكامل، أو الالتباس، أو الاستقطاب أو التضمين المتبادل.

والأشكال المعرفية الخمسة التي سبقت الإشارة إليها، تكون متداخلة مع هذه الأنواع، ولا تتجلّى بمعزل عنها إلاّ فيما ندر.

فالمعرفة الصوفية في المجتمعات البدائية تكون وليدة التجربة (بحسب العقلية البدائية التي درسها ليفي برول). وتتعلق المعرفة الصوفية أو العقلية، في كافة المجتمعات الأخرى، بأنواع المعرفة، بمقدار ما تتعلق بالأطر الاجتماعية. فالمعرفتان الفلسفية والسياسية قد تميلان نحو الصوفية أو العقلية، بينما تتلقى المعرفة الإدراكية، ومعرفة الآخر، والمعرفة التقنية والحس السليم، في محاولتها للجمع بين الصوفية والعقلية، تتلقى تأثير الوسط الاجتماعي الذي تنمو فيه. إلاّ أن المعرفة العلمية هي الأشد تعارضاً مع كل اتجاهٍ صوفي، اللهم إلاّ صوفية الأعداد الفيثاغورية، التي هي أحد مصادر الرياضيات، كما أن الكيمياء الخرافية **(L'alchimie)** هي التي أوحت بعلم الكيمياء.

ثم إن كل معرفة تفترض وجود تجربةٍ وصياغةٍ للمفاهيم (المعرفة التصوّرية)، والمعارف الفلسفية والعلمية والتقنية هي الأشد نزوعاً لأرفع صياغةٍ للمفاهيم، بينما تميل المعرفة الإدراكية إلى التجريبية. أما معرفة الآخر، والمعرفة السياسية والحس السليم، فهي أكثر ارتباطاً بالأطر الاجتماعية.

وقياساً على ذلك، فإنه لا يجب الخلط بين المعرفتين الوضعية والتجريبية، أو التأملية والتصورية. إذ يمكن للتجريبية أن تكون تأملية، وللوضعية أن تكون تصورية. وإذا عنينا بالوضعية رفض المغامرة بفرضيات جديدة، وعدم السير خارج الطرقات الممهّدة؛ وبالتأملية الأخذ بمبادرات جديدة والتقدم في الاتجاهات المجهولة، ثم توجهنا بنظرة فاحصة لتاريخ العلوم، نجد أن كل الإكتشافات العلمية قد حصلت بفضل التأمل

والخيال، ثم تمّ اختبارها فيما بعد. وبذلك، فإن المعرفتان التقنية والعلمية، كالمعرفة الفلسفة، تحبذان الشكل التأملي بمقدار ما تناسبهما الوضعية. أما شكل المعرفة الرمزية، فلا نعني به الرموز التي لا تحصى والتي تزخر بها الحياة الاجتماعية؛ إنما الرموز ذات السيادة الفكرية، التي تكمن في التصورات والقياسات ومفاهيم الزمان والمكان، ومقولات المنطق والأحجام الرياضية. وبذلك يمكننا الحديث عن المعرفة الرمزية، عندما تميل الرموز للتعبير عن المفاهيم والأفكار المبينة لمضامين الأشياء. بينما نفهم بالمعرفة المتوافقة، أو المتناسبة، المعرفة التي تسيطر فيها المضامين على الرموز. فالمعرفة السياسية، ومعرفة الآخر والنحن والحس السليم، تميل بشكل ملموس نحو الرمزية. بينما تميل المعرفة التقنية إلى المتناسبة، ما عدا المجتمعات القديمة، التي ترتبط فيها التقنية بالسحر. ويمكننا القول إن المعرفة الإدراكية، والعلمية والفلسفية، تتأرجح بين الرمزية والتناسبية، وذلك بحسب الظروف الاجتماعية ونماذج المجتمعات.

والخلاصة، أن التلوّن في أشكال المعرفة، يجب أن يُدرس دائماً عبر أنواع المعرفة وأنماطها؛ مما يدفعنا أولاً للبحث عن العلاقات الوظيفية بين الأطر الاجتماعية وأنواع المعارف.

خامساً ـ أهم الأطر الإجتماعية القابلة للتجليات المعرفية:

إذا انطلقنا من الميكرو ـ سوسيولوجيا (علم اجتماع التجمعات، أو البنى الاجتماعية الصغيرة)، ومررنا بكافة أنواع المجتمعات وصولاً إلى المجتمعات الشمولية، يمكننا ملاحظة الأطر الاجتماعية التالية:

1 ـ على مستوى الميكرو سوسيولوجيا (التجمعات الصغيرة)

- الجماهير
- الجماعيات.
- المتحدات.

2 ـ التجمعات الخاصة:

- التجمعات المتمايزة
- العائلات أو الأسر
- التجمعات المحلية الضيقة
- المصانع
- الدول
- المؤسسات الدينية (الكنائس).

3 ـ الطبقات الاجتماعية:

- الطبقة الفلاحية

- الطبقة البورجوازية.
- الطبقة العاملة (البروليتاريا)
- الطبقة التقنو - بيروقراطية.

4 - المجتمعات الشاملة:

المجتمعات القديمة
- المجتمعات الإلهية الباهرة
- المجتمعات الأبوية
- الدول الحواضر، المتحولة إلى امبراطوريات
- المجتمعات الإقطاعية
- المجتمعات الشمولية المولدة للرأسمالية
- المجتمعات الديموقراطية الحرة
- الرأسمالية المنتظمة والموجّهة
- المجتمع الفاشي التقنو - بيروقراطي
- الجماعية الدَّوْلية المركزية
- الجماعية التعددية اللامركزية.

هذا التقسيم هو الوارد حرفياً عند جورج غورفيتش، في كتابه « الأطر الاجتماعية للمعرفة »[11]، وقد يكون الأكمل. وقبل أن ننتقل للبحث عن الأنواع المعرفية، التي يمكن أن توجد في كل بنيةٍ أو إطارٍ من هذه الأطر، تجدر الإشارة إلى أهمية الربط بين الميكرو - سوسيولوجيا (علم اجتماع التجمعات الصغيرة) والماكروسوسيولوجيا (علم الاجتماع الشامل)، وإظهار العلاقة الجدلية بينهما. إذ إن كل التجليات الاجتماعية، من جماعات وطبقات ودول، تتبدل سماتها وفقاً للمجتمعات الشمولية التي تندرج فيها. وبالعكس، فإن سمات المجتمعات الشمولية، تتبدل تبعاً لتأثير الأولى فيها. هذا هو الجدل القائم بين الكلي والجزئي، والذي يرتدي طابع التكامل حيناً، والتضمين المتبادل أو الاستقطاب والتقابل أحياناً أخرى.

سادساً - نماذج مختلفة من الأطر الاجتماعية ومنظوماتها المعرفية

1 - على صعيد الميكروسوسيولوجيا

الجماهير: Les Masses

يمكن للجماهير أن تكون موجودة في جميع الطبقات الاجتماعية، وفي المجتمعات الشمولية والجماعات الواسعة

النطاق كالدولة والأحزاب السياسية. ونميّز بين نوعين من الجماهير: الجماهير السلبية والجماهير الفاعلة.

أهم المعارف المرتبطة بالجماهير، **المعرفة الإدراكية للعالم الخارجي**، ثم تأتي المعرفة السياسية، أما بقية المعارف فغير مشجّعة، لا سيما الفلسفية. فمع الجماهير السلبية، كالعاطلين عن العمل مثلاً، يكون إدراك العالم الخارجي متصلاً بأكثر الحاجات إلحاحاً، كالبحث عن العمل، وطلب المساعدة، والجوع المهدِّد. والجماهير السلبية لا تفصح عن المعرفة السياسية إلاّ سلبياً، باللامبالاة، وهنا يكثر الحديث عن الأكثرية الصامتة.

أما الجماهير الفاعلة فتتوجه معرفتها وفقاً لعملها، ومبادراتها. هذا هو حال المستائين، الذين يحصل في إدراكهم للعالم الخارجي، تقسيم لهذا العالم إلى مناطق صديقة ومناطق معادية، مؤاتية أو غير مؤاتية. وترتدي هذه المعرفة شكلاً تصورياً. وتتحول معرفة الآخر والنحن إلى معرفة المتخاصمين والمتحالفين. وإن وجد شيء من المعرفة التقنية، ومعرفة الحس السليم، فهو مندرج في إطار المعرفة السياسية.

2 ـ من التجمعات الخاصة

أ ـ الأسر: Les Familles

الأسرة، كجماعة، يتبدل طابعها تبعاً لنمط المجتمع الذي توجد فيه، والطبقة التي تنتمي إليها. ففي أسرةٍ (كالأسرة الفرنسية، أو اللبنانية مثلاً) حيث المرأة تمكث في البيت وتربي بضعة أولاد، تهيمن معرفة «الآخر» و«النحن» (التعارف بين الرجل والمرأة والأهل والأبناء). ويمكن لبعض الإضطرابات أن تنشأ في هذه الأسرة، عندما لا يتفاهم أعضاؤها، فينقسمون ويتخاصمون (تخاصم الآباء مع الأبناء، أو مع بعضهم. وتخاصم الأبناء مع بعضهم).

والمعرفة الأساسية في الأسرة، هي معرفة الحس السليم، التي ينقلها الآباء للأبناء. وقد تنشأ تأثيرات معاكسة لأسلوب العيش السائد في الأسرة، سببه أماكن العمل، والنقابات، ومؤسسات التعليم، والزملاء والأصدقاء. كما أن أثر الأسرة على المعرفة السياسية هو في انخفاض دائم، فنرى الأبناء اليوم ينتمون انتماءاتٍ سياسية معاكسة. وتنحصر المعرفة التقنية في استعمال الآلات المنزلية، أما المعرفة العلمية، والفلسفية، فلا تحظى بتشجيع ملحوظ. وتقتصر المعرفة الإدراكية على معرفة المنزل ومحيطه. والخلاصة أن العائلة ليست مركزاً غنياً بالمعارف، لانفتاحها وخضوعها للتأثير المعرفي للطبقات والمجتمعات الشاملة.

ب ـ الدول

الدول مثل التجمعات، تكون متعددة الوظائف. وهي مجتمعات سياسية ذات بنى خاصة، ولا تماثل مع المجتمعات الشاملة التي تشكل الأمم في العصور الحديثة. والدول منذ نشوء التصنيع فيها، تنزع لأن تصبح أدوات هيمنةٍ في أيدي الطبقات، والدليل على ذلك التنازعات والتعارضات الحاصلة بين أجهزة الدولة المختلفة، كذلك المعارضة المتمثلة بالطبقات التي هي خارج السلطة.

والدول، بوصفها تقوم على التعارض مع الدول الأخرى، وتبغي المحافظة على حدودها، فإنها تعطي الأولوية للمعرفة الإدراكية للعالم الخارجي. وتنعكس هذه المعرفة على نشاط الدولة العسكري، فكانت الدول القديمة تنشىء الحصون، أما الحديثة، فتصنع أو تحاول الحصول على الطائرات والقنابل الذرية والصواريخ العابرة للقارات. كما تشتمل معرفة العالم الخارجي على المعرفة الاقتصادية، والمبادلات، والمواد الأولية، والموارد، والاهتمام بالسياحة والزراعة واستصلاح الأراضي.

تأتي المعرفة السياسية في الدرجة الثانية، وقوامها سياسة الحكم والحكام، والسياسة الإدارية، وسياسة الأحزاب المعلنة والمرخّصة. كما تلعب المعرفة التقنية دوراً هاماً، لا سيما في الدول المعاصرة، حيث الاهتمام بالتقنية العسكرية والآلات الصناعية. أما المعرفة الفلسفية فقد تكون وحيدة الجانب، موجهة، إذ تستخدم كمبرِّر للأنظمة السياسية الحاكمة، أو بالعكس. وتتدخل الدولة في تطوير المعرفة العلمية، فتنشىء مؤسسات البحوث والتعليم.

3 ـ الطبقات الاجتماعية

إن دراسة الأنماط المعرفية السائدة في الطبقات الاجتماعية، لا تجعلنا نقف أمام بنى اجتماعية قائمة بحد ذاتها، مستقلة وغير متداخلة بالبنى الأخرى؛ فنحن أمام مراكز معرفية تتصف غالباً بالتعقيد والتنوع. والطبقات الاجتماعة هي عوالم اجتماعية جزئية، تطمح لتصبح عوالم اجتماعية كاملة، تتحقق في المجتمعات الشمولية. ولم تظهر الطبقات الاجتماعية بالمعنى الدقيق، إلا مع المجتمعات الرأسمالية والصناعية.

ويعرّف جورج غورڤيتش الطبقات الاجتماعية بقوله: «الطبقات الاجتماعية هي تجمعات عليا واسعة النطاق، تتمثل فيها عوالم كبرى من التجمعات الخاصة، ترتكز وحدتها على النزوع نحو وظيفةٍ عليا وبناء متقدم، ومقاومةٍ لاختراق المجتمع الشامل لها، كما تنزع باتجاه التعارض مع الطبقات الأخرى». أهم الطبقات الاجتماعية هي: الفلاّحية، البورجوازية، البروليتاريا، والطبقة التقنو ـ بيروقراطية. ونأخذ هنا كنماذج:

أ ـ الطبقة البورجوازية:

التعريف المبدئي لهذه الطبقة، أنها المالكة لوسائل الانتاج والمواد الأولية والرساميل. وقد اختلف دورها تاريخياً، من طبقة ثورية طليعية، إلى طبقة معتدلةٍ وتوفيقية، فإلى طبقة محافظة أو رجعية. وقد أصبحت اليوم، بمقاومتها للثورات الاجتماعية، طبقة فاشية بألوان مختلفة.

يدخل في هذه الطبقة من جهة أرباب العمل: كبار الأثرياء من المتمولين والتجار، أرباب المهن الحرة، الموظفون الكبار، البيروقراطيون الإداريون والتقنيون، أرباب المصارف والكارتلات والتروستات[12]. ومقابل الوعي الفلاحي المنكمش على ذاته، كان الوعي الطبقي البورجوازي يدعي الامكانية للانتشار العالمي.

هذه الطبقة هي مركز خصب لجميع المعارف. ونرى في نظامها المعرفي تداخلاً في المعارف الثلاث: العلمية،

التقنية، والإدراكية للعالم الخارجي. فلو توقفنا عند المعرفة الإدراكية، نرى أن العالم الخارجي هو ميدان التوسع الاقتصادي. ويمتنع الاستكشاف دون تدخل الأدوات التقنية، وهذه الأدوات لا يمكن تطورها إلاّ بمؤازرة المعرفة العلمية.

تأتي بعد هذه المعارف المتداخلة، المعرفة السياسية. وقد ظلت معتدلة حتى مطلع القرن العشرين، تستند إلى أساطير السلام وتكافؤ الفرص، وإلى التقدم التقني والإزدهار ومساواة مصالح الجميع. وكانت هذه الطبقة بسياستها مستعدة للتسوية والتنازلات في حدود الممكن، وحيث لا تكون مصالحها مهددة بشكل خطير. ولم يتبدل الوضع إلاّ بعد الثورات الاجتماعية في البلدان الاشتراكية، فأدى الخوف من الشيوعية إلى تلوين المعرفة السياسية البورجوازية بألوان فاشية. ولم تلعب معرفة الحس السليم دوراً. إلاّ في الحياة العائلية البورجوازية.

أما المعرفة الفلسفية، فكانت خليطاً من العقلانية والإرادية عند ديكارت، ومن العقلانية والتجريبية عند باكون. وتركت البورجوازية بصماتها بشكل واضح على فلسفات عصر الأنوار (كانط). لكن معظم العقائد الفلسفية التي ظهرت منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، لم تعد تحمل أي أثر لعلاقةٍ مباشرة بالطبقة البورجوازية.

وأما أشكال المعرفة البارزة والمتطابقة مع البرجوازية، فإنها تميل بمجملها إلى العقلاني والتجريبي أكثر من التصوّري. وتميل إلى الأنسب أكثر من الرمزي، وإلى الفردي أكثر من الجماعي. وتبدو الأشكال النظرية والوضعية متعادلة ومتكافئة نسبياً.

ب ـ طبقة البروليتاريا:

طبقة العمال أو البروليتاريا، هي الطبقة المحرومة التي لا حظوة لها في المجتمع الصناعي الرأسمالي، بسبب عدم امتلاكها لشيءٍ من وسائل الانتاج. وقد بدأت هذه الطبقة تعي نفسها في مطلع القرن التاسع عشر، في مذاهب اشتراكية وجماعية شتى. وقد ازداد تراتب الجماعات المتداخلة في البروليتاريا تعقيداً في المدة الأخيرة، ونلاحظ أنه بالرغم من تنوع الميادين وكثرتها (من عمال الكهرباء، والمطابع، والمرافىء، والحمالين، ومصلحي الآلات وغيرهم...) فإن قطاعات العمال المتغايرة لم تفقد الوعي لانتمائها الطبقي.

المعرفة الأولى السائدة في هذه الطبقة هي المعرفة السياسية العفوية، والضمنية، المتعلقة بالاستراتيجية الواجب اتباعها، والأهداف الواجب بلوغها، بتطلعها إلى مستقبل أفضل، بسبب استيائها وحرمانها ومعاناتها. فلا بدّ من معرفة تكتيكات النزاع مع الحكومة، أو أرباب المصانع والمنشآت، أو الطبقات الأخرى والتنظيمات النقابية والسياسية. ويمكن لهذه المعرفة أن ترتدي طابعاً ثورياً، أو واقعياً، أو انتهازياً، أو طوباوياً، عقلياً أو صوفياً.

تأتي المعرفة التقنية في المقام الثاني، وتتباين بتباين الشرائح والمراتب. وينعدم الربط بين هذه المعرفة والمعرفة العلمية، وهذه هي نقطة الضعف عند العمال، الذين يظلون بروليتاريين مهما كانوا ماهرين.

في المقام الثالث تأتي المعرفة الإدراكية، وتتعلق بشروط العمل ومكانه، وبالسكن والمواصلات. ويكون للأزمنة والأمكنة طابعاً خاصاً، حيث أن المتاعب وخيبات الأمل تقود الشغيلة إلى الميادين الأنوية والإسقاطية بدل الانفتاح العام، ويظهر أثر معرفة الزمان في هيمنة المستقبل على الماضي والحاضر.

ولا تظهر معرفة الحس السليم إلاّ من خلال المعرفة السياسية. وتنحصر معرفة الآخر بأفراد الخلايا السياسية والنقابية، وتمثل شخصية الآخر الوجه المفضّل للمناضل. وإذا كانت معرفة الآخر ضيقة منحصرة، فإن معرفة النحن والجماعات واسعة جداً، تمتد إلى الطبقة وفروعها والطبقات الأخرى المناوئة.

أما المعرفة الفلسفية فتبدو أكثر تعقيداً، ونحصر الحديث عنها بآراء برودون[13] وماركس وأوغوست كونت. قال برودون (Proudhon) إن البروليتاريا، حين تحرر العمل من الاستلاب (Aliénation) تنصر الفلسفة، بوصفها برهاناً عملياً على أن الفكرة تولد من العمل، وعليها الرجوع إليه. وأكّد ماركس، أن البروليتاريا بوصفها تجسيداً للنشاط الاجتماعي العملي، تكون مستوحاة من معرفة فلسفية جديدة. والخلاصة أن ماركس وبرودون قدّما البروليتاريا على أنها مدعوّة لرفع وترقية معرفة فلسفية جديدة. أما كونت، فمع عداء ماركس وبرودون له، لا يفوته ذكر البروليتاريا بوصفها تحمل معرفة فلسفية جديدة، مماثلة لفلسفته الوضعية. لأن التجدد الاجتماعي الذي تنشده الوضعية، تتخوف منه الطبقات الوسطى والعليا. ولا مؤيدين حقيقيين للوضعية إلاّ في صفوف البروليتاريا. لكن كونت لا يقيم هذه الأقاويل على برهان. والخلاصة أن البروليتاريا لم تخرج بعد من خدرها ولا استيقظت من نومها الفلسفي. ربما حصل ذلك في المستقبل، بالتطلع لمستقبل الأنظمة الاشتراكية، وربما حينها تزول البروليتاريا كطبقة. وقد تكون المعرفة السياسية الخاصة بهذه الطبقة، مشتملة على فلسفتها الضمنية.

4 ـ المجتمعات الشاملة

المقصود بالمجتمعات الشاملة، الظواهر الاجتماعية الكلية، الأكثر اتساعاً وأهمية. إنها العوامل الاجتماعية الكبرى، التي تملك سيادة قانونية تتجاوز كل التجمعات الداخلة فيها، بما في ذلك الدولة.

من أهم هذه المجتمعات:

ـ **المجتمعات القديمة (Les Sociétés archaïques)**، والبنى الاجتماعية فيها عبارة عن قبائل متنوعة. ومن حيث المعارف، لم تكن المعرفتان الفلسفية والعلمية متكونتين فيها. أما المعارف الأخرى، الإدراكية والسياسية والآخر والنحن، والحس السليم، فتميل كلها للإنصهار. وللسحر فيها مقام كبير.

ـ **المجتمعات الإلٰهية**، والمثال التاريخي لها يجسده الملوك والكهنة والسحرة والآلهة الأحياء. مثال مصر القديمة، وآشور وفارس. من أولى المعارف فيها المعرفة التقنية والمندمجة بالسحر والميتولوجيا، ثم الإدراكية، فالسياسية.

ـ **المجتمعات الأبوية**، الموازية للإلهية، وتقوم بنيتها على تفوق الجماعة العائلية المنزلية، المرتكزة على القرابة الدموية، والمرتبطة بالأصل الذكري. وفي مقام المعرفة الأول، يأتي خليط من الإدراكية ومعرفة الآخر والحس السليم.

ـ **الحواضر المتحولة امبراطوريات**، مثال المدينة الأغريقية (700-500 ق. م.) والحاضرة الرومانية (500-100 ق. م.). في المرتبة الأولى المعرفة الفلسفية، ثم تأتي الإدراكية، فالعلمية (فيتاغورس وأرخميدس وأبقراط).

ـ **المجتمعات الإقطاعية**، المتميزة بالمراتب الاجتماعية المتنافسة: التجمعات العسكرية، الإمتلاكية، الدولة الملكية، رجال الدين، واتحاد المدن المتحررة. في المرتبة الأولى تأتي المعرفة اللاهوتية، ثم السياسية، فالتقنية.

ـ **المجتمعات المولّدة للرأسمالية**، (الملكية المطلقة في أوروبا من القرن 16-18). معارفها بالدرجة الأولى الفلسفية والعلمية (غاليليه، لافوازييه، بريستلي)، ثم الإدراكية والتقنية، وبعدها السياسية.

ـ **المجتمعات الديموقراطية الحرة** (أوروبا وأميركا في القرن 19 ومطلع العشرين). تميزت بالحرية النقابية والدولة العلمانية، لكنها أداة بيد البرجوازية. وعلى صعيد النظام المعرفي تحتل المعرفة العلمية الدرجة الأولى، والتقنية تطبيق لها، ثم تأتي الإدراكية والسياسية، أما الفلسفية فكانت هابطة.

ـ **المجتمع التقنو ـ بيروقراطي**، وقد أجريت التجارب الأولى له قبل الحرب الثانية في إيطاليا وألمانيا والأرجنتين. وحالياً تشجع الدول المتخلفة الفاشية التقنوقراطية. والسمة البارزة للنظام المعرفي هي صهر المعارف الثلاث: السياسية، التقنية والعلمية.

ويمكننا بعد هذا العرض الموجز، أن نتحدث بالتفصيل عن نموذجين سائدين من المجتمعات الشمولية، هما:

أ ـ الرأسمالية المنتظمة والموجّهة:

في هذا المجتمع، تهيمن الدولة، وتوجه الاقتصاد لصالح الطبقة البورجوازية العليا. وكل ما هو مناوىء لهذه الطبقة (كالنقابات العمالية)، يكون مشلولاً أو محطماً، كما هي الحال في الولايات المتحدة الأميركية وألمانيا الغربية، وفرنسا وبريطانيا واليابان، ومعظم الدول الأوروبية الرأسمالية. وتسود في هذه المجتمعات الجماهير السلبية. والهيئات المسيطرة هي هيئات التخطيط الاقتصادي (التي تعتمد على الأتمتة والآلات الإلكترونية)، يليها الجيش القوي بامتلاكه القنابل الذرية والصواريخ العابرة للقارات.

ويقال إن الرأسمالية الموجهة تتجه حتماً نحو الفاشية التقنو ـ بيروقراطية، وهي الوسيلة الوحيدة لتحافظ الرأسمالية على ذاتها. ولكي تقاوم المحاولات الهادفة لتصفيتها، تبذل الرأسمالية المستحيل لتقديم البديل، كتحسين أوضاع العمال، وإنشاء الضمان الصحي والاجتماعي، ومختلف الإصلاحات الاجتماعية. (في أميركا، محاولة تشغيل العمال على صوت الأوركسترا السمفونية، لإرضائهم، ولزيادة انتاجهم إلى الحد الأقصى). ما هو النظام المعرفي الخاص بهذه البنية؟

تحتل المعرفة التقنية حتماً المرتبة الأولى، وذلك في عصر الأتمتة والالكترونيات والصواريخ. وتستوعب التقنية العلم نفسه، فيكون في خدمتها. وتزول حينئذٍ النزعة الأخلاقية من الروح العلمية. والمهزلة في الولايات المتحدة الأميركية أن التقنية غزت علوم الانسان، فادعى ممثلو علم النفس الفردي والاجتماعي، أنهم فنّيو الحياة النفسية الاجتماعية وطالبوا بلقب التقنوقراطيين.

وتأتي المعرفة السياسية في المقام الثاني، وهي تعاني من أثر التقنية الشديد. فيصبح المقصود إتقان استخدام البشر كتقنية استخدام الآلات. ويتجلى العمى السياسي في انعدام التمييز بين الخير والشر (أزمة الضمير العالمي) وفي مواجهة خطر التدمير الذي تفرضه التقنيات المنفلتة من عقالها. وتأتي في المرتبة الثالثة المعرفة الإدراكية، وهي غير متحررة من التقنية أيضاً، فتحمل آثارها، الناتجة عن التلفزيون وآلات التصوير والتجسس والمواصلات. ويظهر أثر التقنية أيضاً على معرفة الحس السليم، باستعمال الآلات والماكينات داخل المنازل، إنما انحصر ذلك أخيراً في الأرياف.

أما المعرفة الفلسفية فتكون متدنية. وقد كانت الوجودية محاولة لمقاومة تقنية الفلسفة لكنها لم تصمد. ولم يصمد في وجه المنطق الرمزي إلاّ الماركسية والجدلية التجريبية والفلسفات الدينية مؤخراً. وتأتي أخيراً معرفة الآخر والنحن.

وطالما أن الحضور القوي هو للمعرفة التقنية، فإن أشكالها تكون تجريبية وتناسبية عند العمال، وعقلانية على مستوى المعلمين والمهندسين، وتنتصر على مستوى الخبراء والمخترعين الأشكال الرمزية والتأملية والفردية.

ب ـ الجماعيّة الدّولية المركزية:

إن روسيا بعد ثورة تشرين (اكتوبر) 1917، والصين بعد سنة 1949 م، والديموقراطيات الشعبية التي تتمثل فيها المرحلة الأولى من الشيوعية، هي أمثلة على هذا النمط الاجتماعي الذي تُزال فيه الرأسمالية والبورجوازية، لتحلّ محلها ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين، عن طريق الحزب الشيوعي، الجهاز الأعلى في الدولة. والدولة التي يسودها الحزب الشيوعي، تتولّى مراقبة التجمعات الخاصة (من علمية، وثقافية، وكنيسة أرثوذكسية، ومذهبيات إسلامية) والرسمية (مصانع، ومنشآت، ومتاجر، ونقابات...). كما تسود الدولة على الطبقات الثلاث: البروليتاريا، الفلاحين، التقنو ـ بيروقراطيين، لكن الفلاحين هم الأقل خضوعاً. ومن الوجهة الميكرو ـ إجتماعية، تكون النحن أشد بروزاً، والجماهير في مختلف الطبقات تكون ناشطة فاعلة.

أما من حيث المنظومة المعرفية، فإننا نجد في المرتبة الأولى المعرفة السياسية العقائدية، والمعرفة الفلسفية، المرتبطتين ربطاً جيداً. وإن كان قد حصل في الاتحاد السوفياتي بعض الجمود في المعرفة الفلسفية مؤخراً، فإن النزاعات مع الصين، وتصفية الستالينية، والاتجاه الديموقراطي، والإدارة الطموحة للحفاظ على السلام العالمي، تميل كلها لتصفية الجمود العقائدي، على صعيد المعرفتين السياسية والفلسفية معاً.

في المرتبة الثانية تأتي المعرفة العلمية، وهي لا تتطابق مع المعرفة التقنية (المنحرفة) كما في الرأسمالية الموجهة. وقد احتفظت العلوم الصحيحة، والعلوم الطبيعية، بالأولوية في التعليم والبحوث. ويذكّر المجتمع الشيوعي، بنظامه المعرفي، بنظام المجتمعات الديموقراطية الحرّة.

وتأتي المعرفة التقنية في المرتبة الثالثة، وهي ملحقة بالعلم (بعكس الرأسمالية الموجّهة). فإن عدد المهندسين المتخرجين من المعاهد العليا للتعليم التقني يتزايد تزايداً عظيماً، لكن المعرفة العلمية تلعب دوراً كبيراً في تأهيل هؤلاء المهندسين (شأن الاتحاد السوفياتي والمجتمعات الشيوعية الأخرى).

والمعرفة الإدراكية للعالم الخارجي هي أقل غرضيّة وتسيّساً بما هي عليه في النظام الرأسمالي، والفاشي. وتأتي في الدرجة الرابعة. تأتي بعدها معرفة الآخر والنحن، والنحن هي الأكثف والأعم، وهي راسخة في المصانع والمشاغل، والنقابات، والهيئات العمالية. وأخيراً معرفة الحس السليم، وتنتشر في أوساط العائلات الريفية والفلاحية، كما تعمل بكثافة في الكولخوزات، حيث تستوعب عناصر معرفية تقنية وسياسيّة. أما الأشكال السائدة في هذه المعارف، فهي عقلانية نضالية في السياسة، وعقلانية في العلمية والتقنية بشكل أساسي، والأشكال الأخرى مكملة، ما عدا الصوفي، فهو غائب.

ويجدر التذكير هنا، أن المرحلة الثانية من الشيوعية قد تنطبق عليها الجماعية التعدّدية اللامركزية. كما يمكن لهذه البنية أن لا تمثل تلك المرحلة، فتنزلق في مذهب محافظ من نوع جديد. وتقوم بنية التعدّدية اللامركزية، على البحث عن توازن ينبغي إقامته بين الدولة الجماعية الديموقراطية، والتخطيط الإقتصادي القائم على أساس التسيير الذاتي للعمال والمزارعين.

تمتاز الديموقراطية هنا بقيامها على الفدرالية:

- فدرالية المشاغل والمصانع مع المنظمات الزراعية.
- فدرالية المناطق.
- فدرالية التخطيطات.
- فدرالية ملكية وسائل الانتاج التي تكفلها الدولة وتعود للمجتمع كله. وهذا النمط هو الأكثر اتباعا في يوغوسلافيا. وفي نظامه المعرفي تحتل المعرفة الفلسفية المقام الأول، وهي متكاملة متدامجة مع معرفة الآخر والنحن. ومهمة المعرفة الفلسفية إنسانية، تعمل على دمج كافة التجمعات في خلق متواصل. في المقام الثاني المعرفة العلمية غير المسيّسة، ثم التقنية المؤنسنة المصانة، الخاضعة لما سبقها من المعارف. وتهبط المعرفة السياسية إلى المرتبة الخامسة. وإذا كان لهذا النظام المعرفي أن يشكو، فهو يشكو من عقلانية مفرطة.

★ ★ ★

الحواشي

(1) Voir: Huisman et Vergez, Traité de la connaissance, (l'imagination créatrice).Paris, 1969.

(2) Platon, La République (par R. Baccou), Paris, 1966.

(3) Jean Voilquin, Les penseurs grecs avant Socrate (Protagoras d'Abdère), Paris 1964. P.202.

(4) عن تعريف الإيديولوجيا والإيديولوجيين، راجع:
Dictionnaire de la phélosophie, Larousse, Paris 1964.

(5) يمكن مراجعة فرويد في:
Freud, Introduction à la psychanalyse, Paris 1969.

(6) راجع: هنري ليففر، ماركس وعلم الاجتماع، دمشق، د. ت.

(7) عن الإيديولوجيا الماركسية راجع:
Cuvillier, Introduction à la sociologie (L'idéologie marxiste), Paris 1967. P.72-76.

(8) راجع: Jean Duvignaud, la sociologie: Guide alphabétique, Paris 1972. P. 107.

(9) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(10) Georges Gurvitch, les cadres sociaux de la connaissance, Paris 1966.
ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع في علم اجتماع المعرفة. وقد نقله إلى العربية د. خليل أحمد خليل، بعنوان: الأطر الاجتماعية للمعرفة، بيروت 1981.

(11) المرجع نفسه.

(12) اتحاد الشركات والصناعيين المحتكرين.

(13) اشتراكي فرنسي (1809-1865)، التقى ماركس، وتعارض معه، واشتهر بكتابه «ما هي الملكية» سنة 1840.